الرواية وإغراء التاريخ.. سبر ومقاربة

■ يشكّل التاريخ بما ينطوي عليه من إشكاليّات وحوادث وأسرار غير مستغلّة وغير مشغولة روائيّاً، إغراء للروائيّ اللبنانيّ ربيع جابر الذي يستكمل النبش والتنقيب والسبر في أغواره، وذلك في روايته «دروز بلغراد.. حكاية حنّا يعقوب»، «الآداب، المركز الثقافي العربي، ٢٠١١».

يعود جابر إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، يرصد بعض النتائج التي أفرزتها إحدى الحروب الأهليّة الكثيرة التي كانت دائمة النشوب والاستعار في أرض لبنان، بين مختلف أطيافه المتعايشة في تناحر شبه دائم. تلك النتائج التي كانت أسباب ودوافع لكوارث أخرى لاحقة، لم تقلّ فجائعيّة وكارثيّة عن الدمار الذي خرجت من أتونه.

هيثم حسين

يستعرض الروائيّ وقائع متخيّلة، يرسم شخصيّات روائيّة، ينبّه، كما في روايات سابقة له، إلى أنّ روايته من نسج الخيال، وأنّ أيّ شبه بين أشخاصها وأحداثها وأماكنها مع أشخاص حقيقيّين وأحداث وأماكن حقيقيّة هو محض مصادفة ومجرّد عن أيّ قصد. يتتبّع مصير بعض الدروز الذين يسلمون أنفسهم إلى الباشا العثمانيّ إثر حرب طاحنة دارت بينهم وبين المسيحيّين في الجبل، وكان شرط العفو عن ذويهم، هو تسليم المتورّطين في الحرب أنفسهم، وكان أن سلّم المئات أنفسهم حقناً لدماء ذويهم، ومن بينهم خمسة أبناء للشيخ غفّار الذي سارع إلى دفع رشى وهدايا للباشا كي يفتدي أبناءه، لكنّ الباشا يأذن له بأخذ واحد فقط من أبنائه. وكي يكون الرقم كاملاً في اليوم التالي، ولأنّ العدّ يكون على الرؤوس الموجودة التي تساق بطريقة قطيعيّة غير إنسانيّة، فإنّ الحظّ العاثر يقود بائع البيض البيروتيّ البسيط حنّا يعقوب إلى المرفأ. حنّا الذي كان سعيداً بازدهار عمله وجَنْيِه أرباحاً مضاعفة من بيعه البيض المسلوق، يجد نفسه رَقماً يسدّ النقص الموجود، يُغرَى بداية بالنقود، لكنّه لا يلبث، حين يرفض، أن ينساق بالضرب والتهديد. يقع في فخّ الترجمة المغالطة، حين كان يصرخ كاشفاً عن اسمه وانتمائه، في حضرة السفير الفرنسيّ، لكنّه يُرحّل ضمن السجناء المرحّلين الذين يرحّل قسم منهم إلى طرابلس الغرب، والقسم الآخر إلى بلغراد. يكون حنّا مع القسم المرحّل إلى بلغراد، يُطلق عليهم تسمية دروز بلغراد. حنّا المسيحيّ البيروتيّ يغدو درزياً من دروز بلغراد. يقع نهباً لانتمائين متجاربين متلاغيين، المسيحيّ الذي يفترض به أن يكون عدوّاً للدروز بناء على الحرب الأهليّة التي كانت ناشبة بين الطرفين، يغدو محلّ الدرزيّ المفتدَى. يكون الفادي بالإكراه. يرغم على انتحال اسمه وشخصيّته. يكون محطّ أنظار السجناء الآخرين. أحياناً يشفقون عليه وعلى حظّه السيّئ، أحياناً يغضبون منه، لأنّه واحد من أعدائهم، وأحياناً كثيرة يبدؤون بتجاهله وتناسيه. ثمّ رويداً رويداً تتغيّر المعاملة معه، يكتشفون معدنه الجيّد، يعتبرونه واحداً منهم، يؤاخي السجن بينهم، يلغي الأحقاد غير المبرّرة. فتبدأ مرحلة أخرى يكون الجميع وقودها، مرحلة أشدّ شراسة من الحرب الطاحنة، يجد الجميع أنفسهم على أعتاب الفناء والضياع، يتمسّكون بالحياة بنواجذهم، يعاندون في سبيل البقاء، لكنّ قسماً كبيراً منهم يتهاوى ويتساقط في زحمة الفجائع المستولدة المتكاثرة..

يصرّح الراوي أنّ هذه حكاية حنّا يعقوب وزوجته هيلانة قسطنطين يعقوب وابنتهما بربارة، وما وقع للعائلة البيروتيّة الصغيرة من مصائب بسبب الحظّ العاثر ووجود الرجل المتوسّط القامة الحنطيّ الوجه الأسود الشعر بائع البيض في المكان الخطأ في الساعة الخطأ. ويضمر توصيف روايته بأنّها حكايات شخصيّات عديدة، وجغرافيّات متباعدة واسعة، وأقوام جمعتهم المصادفات تحت حكم متشعّب تسيّره أمزجة متباينة، إذ ترد حكاية حنّا في سياق حكايات كثيرة، وإن برزت على أنّها الحكاية الجامعة المركزيّة فيما بينها، ولا سيّما أنّها موضوعة بشكل رئيسي كعنوان مكمّل للعنوان الرئيسي. تتكامل الحكايات المتشعّبة الكثيرة لترسم صورة متكاملة للحقبة التاريخيّة المصوّرة، المرويّة، من حكم السلطنة العثمانيّة في مختلف أرجاء السلطنة، ابتداء ببيروت ومروراً ببلاد البلقان، صربيا، البوسنة، الهرسك، إسطنبول، حلب، دمشق، ورجوعاً إلى بيروت، أي يكمل دائرة الأحداث بالعودة إلى النقطة التي انطلقت منها، إلى بيت حنّا يعقوب المجاور للكنيسة في بيروت. لا يكتفي الروائيّ بالمرور السريع في الأمكنة الكثيرة التي تغدو مسارح متكاملة لمجريات الرواية وسير أحداثها الديناميكيّة المؤسفة، بل ينقّب في تلك الأمكنة، يحرص على تقديم صور شاملة عن تاريخها وحاضرها، عن أناسها، عن العادات والتقاليد والأعراف التي تسود فيها، عن التأثّرات والتأثيرات فيما بينها.

يحضر السجن كتيمة روائيّة رئيسية، لا من باب المماثلة مع روايات السجون أو أدب السجون، بل من جهة تقديم عوالم جديدة، سبر تاريخيّ ـ معاصر، عبر التوغّل في سجون السلطنة العثمانيّة، حيث ينقل التيه المرتحل مع السجناء، يفضح اللعنات التي لم تكن تزايلهم. كما لا يتوانى عن إيجاب تحذير إعادة التجارب الكافرة المجرمة بحقّ الإنسان، أيّاً كان وفي أيّ مكان. يصوّر الروائيّ أحوال المساجين؛ دروز بلغراد، الذين تنقّلوا بين الكثير من السجون، وكيف أنّ تلك السجون، والسنين التي قضوها فيها، كانت تمحو الذكريات. تحطم الإنسان، بحيث لا يعود السجين قادراً على الحلم، لأنّه يفقد الأمل بالنجاة. كما يصوّر كيف أنّ السجناء كانوا يتساقطون كالحشرات حين ينهكهم الجوع والعطش، ويتمنّون الموت الذي يغدو عندهم أمنية مستحيلة. يموت الكثيرون منهم ميتات مؤلمة. يتشوّه بعضهم تشويهاً جسديّاً، يفقد بعض أعضائه، كنعمان الذي يفقد يده، وحمد الذي يفقد بصره، كما يتشوّه الآخرون تشويهاً نفسيّاً، لأنّ السجن يجتثّ أحلامهم وآمالهم وطاقاتهم وإنسانيّتهم. ولا يكتفي الروائيّ بتصوير السجن الذي عاشوه، بل ينقل السجن المرتحل معهم في دواخلهم، وحالتهم خارجه، إذ بدت الحرّيّة الجزئيّة قاسية وعصيّة على الممارسة. كيف أنّهم خافوا من غياب الحيطان. من المدى الفسيح ونقاء الهواء. وعجزوا عن النوم. حين أخرجوا من السجن، إذ أفضت بهم سنوات طويلة من العيش في أقبية موصدة بسلاسل حديد إلى هاوية غريبة سحيقة مدمّرة. ولا يفلح أحدهم بالخلاص من سجن حتّى يُرهَن لآخر رغماً عنه. حنّا يكون النموذج الأتعس حظّاً، تقوده المصادفات الكئيبة القاهرة إلى الوقوع في فخاخ الجندرمة العثمانيّين. تنشأ لديه حالة من التمرّد المرفوق بالقنوط، يستبدّ به اليأس والحنين والجوع والسجن والغربة والظلم، فيتساءل أسئلة مشكّكة تستبطن تمرّداً وتثويراً داخليّين عاجزين.

تحمل الرواية الكثير من الرؤى والطروحات الفكريّة التي يقدّمها الروائيّ في سياقات روائيّة موظّفة بدقّة، ولا تبقى الرواية بمنأى عن الغوص في التحليل السياسيّ التاريخيّ، بطريقة غير مباشرة، وبمفارقة ومقاربة، عبر تصوير أوضاع مدن أو شخصيّات. ويمكن للقارئ استشفاف مواطن الشبه أو إسقاط المقولات على واقعه، فيكتشف نقاط الشبه، أو يؤوّل المراد. يصف الراوي تدويل بلغراد، كأنّه يستحضر صورة مُمرآة لبيروت الماضي والحاضر، يُسقطها بنوع من التماهي بينهما، أو الإشارة إلى الامتداديّة اللامرئيّة التي تجمعهما معاً في شراك مشابهة. يصف مواقف كثيرة تفضح الرغبات المتواتَرة المتعاظمة بالتحكّم بها والسيطرة عليها، كموقف حضور القناصل بين يدي الباشا العثمانيّ المسؤول فيها، واحتجاجهم على ممارساته، كترميمه للتحصينات، وتغييره في بعض المعالم، مستنداً إلى سلطته المطلقة، وإلى تأويل بنود الاتّفاقيات والمعاهدات المبرمة تأويلات تتوافق مع مصالحه، حيث الروسيّ يحتجّ باسم الصرب، والنمساويّ يحتجّ باسم النمسا، والفرنسيّ يحتجّ باسم الصرب والنمسا وفرنسا معاً، والإنكليزي يبتسم ويختم أنّه يحتجّ معهم جميعاً.

لا يكتفي أحياناً بالإيحاء، بل يعقد، على ألسنة الشخصيّات، مشابهة بين حالة الأتراك، من باب المفارقة المريرة، وحالة الدروز، كالمشابهة التي استرعت انتباه راسم باشا الذي كان يكلّم مساعده كأنّه يتكلّم مع نفسه، يحكي عن الانتصارات الخلّبيّة التي هي في جوهرها انتكاسات وهزائم. حين كان يقول واصفاً حال المدينة التي قصفها وشتّت شمل أهلها: «ها نحن قد هدمنا أبراجهم وأحرقناها. مقبرتهم امتلأت. لو شئنا نطردهم بالنار إلى وراء النهر. مع هذا لا نشعر بالراحة، كأنّنا خسرنا ولم نربح الحرب. قد تستغرب يا طوران لكنّني أفهم الآن ما يقوله عمّي عن هؤلاء الدروز. هم أيضاً وقع عليهم النحس. ربحوا الحرب وسحقوا عدوّهم لكن أين انتهوا؟ صعب أن تربح وتجد نفسك خسرت. أنا أشفق عليهم يا طوران».

بناء الشخصيّات

يولي الروائيّ عناية مشدّدة لبناء شخصيّاته، فعشرات الشخصيّات، الرئيسية والثانوية، التي ترد في الرواية، تكون مشغولة من مختلف النواحي الداخليّة والخارجيّة، وتكون لكلّ منها خصوصيّتها وتميّزها، يحرص على تقديمها في سياق دراميّ موظّف في خدمة المحاور التي يعمل عليها، فيحكي قصصها، أو يفسح لها المجال لتحكي سيَرها، وإن كانت الشخصيّات الرئيسية كحنّا يعقوب، هيلانة، بربارة، الباشاوات العثمانيّين، الدروز المرافقين ومنهم: أولاد الشيخ غفّار الخمسة، حمد الأعمى، نازلي هانم، صامويل، أحمد البوسنيّ، وغيرهم كثيرون، تندرج ضمن أولويّات الرواية، وتقدّم على أنّها حوامل للمتغيّرات والرؤى، فإنّ هناك العديد من الشخصيّات التي لا يمكن الاستغناء عنها، ولا إغفالها، بحيث أنّ المشاهد لا تكتمل من دونها، تمارس تلك الشخصيّات فعاليّة، تمتاز بالديمومة وتكون بالغة التأثير في المشاهد والمناسبات التي تتواجد فيها، لا تكون للإكسسوار أو التزيين، بل تكون من صلب العمل، من دونها يكون نقص وخلل.

يهتمّ الكاتب بتصوير الحالات التي تتعرّض لها الشخصيّات، يصوّر ما يجول وما يعترك في دواخلها، كما يتتبّع التغيّرات التي تطرأ عليها بفعل الزمن وتقادم الأيّام. يروي انقسام الشخصيّات، امّحاءها، تلاشيها، تعاركها، تخبّطها، جنونها، انتحارها، طيشها، حنكتها، غباءها، حظّها. ومثلما يركّز على بداياتها، فإنّه يبدو في غاية الاهتمام بمصائرها ونهاياتها، التي لا يمارس فيها الروائيّ إقصاء عليها، أو تمويتاً لها، للتخلّص من عبء ديمومتها، ومن أعباء المواقف التي قد تستحضر فيها. فيفصّل في مساراتها ومداراتها. وتكون غاية البراعة في الاشتغال على تلك التفاصيل، وما تبلغه من رسائل ودلالات، يرمّز إليها الروائيّ بجمله المركّزة القصيرة المعبّرة.

بالموازاة مع التحليل العميق لدواخل الشخصيّات والالتباسات التي تتخلّلها، والإشكاليّات والتناقضات والمآسي التي تعيشها، يكون هناك نوع من الحضور البهيّ الآسر لنهر الدانوب، يعكس الافتتان والولع به. الدانوب الذي كان يشكل حدوداً طبيعيّة للسلطة والجنون، يحضر كشخصيّة طبيعيّة، يمارس شيئاً من التطهير. الدانوب النهر العظيم المياه، يسير من دون أن يلتفت إلى الجنون المارّس على ضفافه، لا يستسلم ولا ينكفئ، بل يفيض ويجري مانحاً الجمال والهيبة والحياة لما ومَن حوله، ومحيياً البلدات والمدن على شواطئه. يبقى العامل الحاسم لبناء جنّات بالقرب منه. لا يأبه، لا للشياطين ولا للملائكة التي تلوذ به، يسير في طريقه مكملاً رسالته الخالدة، واثقاً من مقدرته على التغيير، ممتلكاً فلسفته الخاصّة به، متجدّداً وفعّالاً. يكون الدانوب الإغراء النظير للحقبة التاريخيّة المعالجة المرويّة، باعتباره همزة وصل بين الحدود، والحدّ الفاصل بين ممالك وأمم، جامعاً مانعاً، مطهّراً مغرقاً، متعفّفاً قاتلاً. الدانوب يمثّل الأسطورة الحيّة، يمثّل المنشود والمثال من الصدق والطهر والكمال.

عبر استعراض شائق مكثّف، يتنقّل الروائيّ ربيع جابر بين بؤر التوتّر المرشّحة للانفجار، وتلك التي انفجرت وحملت جينة التفجير في داخلها بركاناً هامداً يترقّب من يثوّره، بسير ماضيها فيوحي بصور للمستقبل الذي لا يبدو مبشّراً كثيراً، ذلك أنّ الأسس التي تمّ تشييد البنيان عليها، تبقى مرتهنة للتناقضات التي أفرزتها. يعود إلى الجذور التي تسبّبت، وستتسبّب، في توقيت الانفجارات السابقة واللاحقة، وكيف أنّها شكّلت، بالتزامن والتقاطع مع عوامل بارزة أخرى بواعث لتوتير الأجواء وخلق المشاكل وإبقائها مستعرة جمراً تحت رماد الضغائن المتوارثة المتناسلة.

يصوّر الروائيّ بإتقان المتغيّرات المجتاحة، كيف أنّ التهجير القسريّ، والمنافع الآنيّة الصغيرة، غيّرت تركيبات اجتماعيّة، ديموغرافيات بأكملها، شكّلت مناطق غير منتمية، وأناساً جمعتهم المصادفات في بقعة واحدة، وأرغموا على تشكيل مجتمع غير مترابط، وغير منسجم، مجتمع تائه غير منتم كما هم مصمّموه الذين سيّرتهم السياسات ودفعتهم إلى تغيير جغرافيّات مختلفة، بناء على سياسات تفتيتيّة رمت إلى الابتزاز والتفقير والتجويع والإهلاك. أوقفت ما يملكون ومَن يملكون لخدمة مصالح مؤقّتة.

حكاية حنّا يعقوب الذي يعود إلى زوجته وابنته عجوزاً وهو لا يزال في العقد الرابع من عمره، واقعاً ضحيّة نوائب الدهر ونوازله الصاعقة المجرمة، حكاية توجب التدبّر والتفكر، عبرة ينبغي أن تستقى منها العبَر، فجيعة من الفجائع الكثيرة التي تكبر وتتناثر على هوامش الحروب. حكاية تيه الفرد؛ غير القادر على تحدّي القوى العمياء التي يجد نفسه محكوماً بها ومنقاداً مُكرهاً لها، وضياعه وتلاشيه حين تطحنه آلة الحرب المجنونة التي لا ترتوي، وتظلّ دائمة الالتهام للضحايا، بحيث تخلّف حكايات مشابهة، وربّما أكثر قسوة وكفراً من حكاية حنّا يعقوب التي هي رمز فضّاح دالّ على القهر الذي ينبغي التكاتف لإيقافه وقهره.

إصدارات ثقافية

«زقاقيات دمشقية»

■ «زقاقيات دمشقية» كتاب للشاعرة السورية سعاد جروس صدر حديثاً عن دار الريس في بيروت وكتب مقدمته الروائي السوري فواز حداد. وجاء في المقدمة: «كتب الكثيرون عن دمشق: أدباء ورحالة ومؤرخون وعابرون ومقيمون... عرب وأجانب. الآن، جاء دور الصحافية سعاد جروس لتكتب عنها. حلّت سعاد في دمشق منذ نحو عشرين عاماً، وأقامت فيها من دون الانقطاع عن مدينتها قصير حمص. درست الصحافة فيها وعملت مراسلة لجرائد ومجلات عربية.

من حسن الحظ أنها لم تنظر إليها كمدينة استثنائية أو خارقة بين المدن. فلم تؤطرها بالغرابة والألغاز، أو تمنحها المزيد من الأسرار المختلفة، ففي دمشق ما يكفيها ولا تحتاج الى الادعاء ولا توسل الأحاجي. وعلى رغم الواقعية التي حكمت تحقيقات سعاد الصحافية، شاب رؤيتها لها قدر من الطرافة، ولمسات نفاذة، خاطبت الروح والقلب، فهي شاعرة أيضاً.

أولئك الذين كتبوا عن دمشق، كانوا أبناء زمانهم، سعاد بنت هذا الزمان، أتت في وقتها كي تقول شيئاً، وتضيف شيئاً، فدمشق لم تعد كما كانت، لقد اخترقت.

بعضهم اعتبرها جنة الله على الأرض في زمن كانت فيه أشبه بالجنة، وآخرون رأوا فيها مدينة منكوبة في زمن أسود داستها فيه جحافل الغزاة، وهناك من وجدها مدينة موصدة في وجه الغرباء، أو مغلقة لا تمنح نفسها للزائر العابر. ما أكثر الذين امتدحوها، وما أقل الذين طاوعهم الحسد فما استطاعوا إخفاء كراهيتهم لها.

وفي الحالين، كانت مهوى الأفئدة، وما زالت، ومطمح جشع الكثيرين، بحيث شكلت المسرح الذي دارت فوقه مطامع الدول الكبرى، وصراعات العسكر والأحزاب، وتضحيات الوطنيين، ومساومات التجار، وتنازلات السياسيين، ولا ننسى الانتهازيين. هذا الإيقاع لم يتغير على مسرح ما زال محتفظاً بحيويته وطزاجته.

لأول مرة تقدم عاصمة الأمويين بهذه الصورة المثيرة والأخاذة والمضطربة: دمشق في خضم المتغيرات الحقيقية والباطلة تحت نير عولمة قاسية، لا تستطيع التمكن منها ولا إخضاعها، ثمة مرابع وزوايا وتاريخ يجعلها تتفرد عن غيرها بجمالياتها ويحمي خصوصياتها، ودائماً عصية على القبح والتعميم.

غالبية الناس لديهم مدينة، سعاد تسكنها مدينتان في داخلها: قصير حمص ودمشق، ولا يقل حبها لإحداهما عن الأخرى. دمشق كسبت ابنة بارة، كما كسبت سعاد مدينة ثانية».

تعريف الرأسمالية وأشكالها المختلفة

■ صدر حديثا عن دار الشروق بالقاهرةكتاب جديد بعنوان « مقدمة قصيرة عن الرأسمالية»، من تأليف جيمس فولتشر وترجمة رفعت السيد على.

يعرض الكتاب مختلف أشكال الرأسمالية في أكثر من دولة، مستخدما أمثلة مفصلة من شركة الهند الشرقية، وكذلك الحديث عما إذا كانت الرأسمالية هي السبب فى بعض الأزمات الاقتصادية.

ويكشف فولتشر فى كتابه عن تطور الرأسمالية وكيف انتقلت من داخل حدود الدولة القومية لتغزو العالم بأكمله، كما يشير إلى تأثير الرأسمالية في حياة كل منا سواء علمنا أم لم نعلم.

يتكون الكتاب من ٦ فصول يعرف المؤلف في أولها الرأسمالية، بأنها استثمار المال، بتوقع تحقيق مكاسب وأرباح، ومن الممكن تحقيق أرباح ضخمة في ظل مخاطر المشاريع التجارية بعيدة المدى، ويضرب المؤلف المثل في تعريفه الرأسمالية، بقصة إبحار سفن شركة الهند الشرقية البريطانية إلى الهند الشرقية، وبعد إبحارها بعام ونصف، عادت محملة بالسلع، وكان الصنف الغالب على هذه السلع الفلفل الأسود، لافتا إلى أن الربح الذي حققه التجار من هذه الرحلات من الفارق الكبير بين الثمن الذي تم دفعه في شراء الفلفل الأسود من جزر التوابل الآسيوية، والثمن الذي يتم بيعه بها في أوروبا.

ويشير فولتشر إلى أن ما كان يهم المستثمرين في هذه التجارة، هو عودة السفن بتلك السلع.

ويتناول المؤلف أيضا في ذلك الفصل كيف أصبح لرأس المال دور في خلق الترفيه، والمتاجرة به، وتحويله لسلعة ربحية، حيث لم يعد الترفيه مقصورا على المشاركة في الرياضيات التقليدية، ووسائل إزجاء الوقت، لافتا إلى أن العمال بدأوا يدفعون ويشترون مقابل أنشطة ترفيهية، تنظمها مشاريع رأسمالية.

وفى الفصل الثاني الذي يعنونه المؤلف « أين ولدت الرأسمالية» يعرض لمكان ميلاد الرأسمالية، حيث ظهرت في بريطانيا، حسبما يؤكد المؤلف فى مستهل هذا الفصل، مشيرا إلى أنها ظهرت أول ما ظهرت في إنجلترا وفى الإنتاج الزراعي تحديدا، ويمضى المؤلف فى تحليل نشأة الرأسمالية، وكيف ظهرت وتطورت في بريطانيا، ولماذا صارت أوروبية المنشأ؟.

ويمضى المؤلف فى عرض نماذج مختلفة من الرأسمالية، عبر فصول الكتاب، حيث منح الفصل الرابع من كتابه عنوان « هل الرأسمالية متماثلة فى كل مكان» معرفا للرأسمالية السويدية، متوغلا في تاريخ الصناعات الرأسمالية السويدية، والصراع الطبقي الذى شهدته بداياتها، ثم يقارن بينها وبين الرأسمالية الأمريكية، مشيرا إلى ظهور مجتمع مؤسسات رأسمالية بلا مجالس فى أمريكا، وهو ما شجع على انتعاش التعاون العملي.

وفى حديثه عن الرأسمالية اليابانية، يشير المؤلف إلى أنضباطها من بدايته، لافتا إلى أن اليابان كانت مجتمعا تجاريا في منتصف القرن التاسع عشر، ولم تكن قد تطورت لدولة صناعية بعد، ثم بدأت اليابان مع استعادة عائلة ميجى للعرش، في إدارة الصناعة كأحد أوجه برنامج بناء دولة قوية مستقلة يمكنها مواجهة الإمبراطوريات الغربية التي كانت تضيق الخناق على اليابان.

ثقافة المعرفة والتفكير الاستراتيجي

■ جملة من التصورات التي يناقشها كتاب « ثقافة المعرفة والتفكير الاستراتيجي» للباحث عبد المجيد جرادات، الصادر مؤخراً عن عالم الكتب الحديث بالعصمة الأردنية عمان وعلى رأسها كيف سيكون العمل الثقافي في ظل التحولات الاجتماعية البنيوية، وإلى أي مدى يمكن الاستعانة بمنظومات القيم.

يتضمن الكتاب الواقع في ٩٦ صفحة من القطع الوسط مجموعة من العناوين التي تهتم بواقع الفكر الذي يسعى لشحذ الهمم نحو العطاء المتجدد، ويعاين دور الإعلام في صون هوية اللغة في مرحلة تسهم فيها الانجازات الحضارية بتعميم البعد المعرفي، من خلال لغة الدول التي تمتلك الأدوات التكنولوجية المتطورة والصناعات الحديثة، إضافة إلى تناول مفهوم المثاقفة بين الشعوب وعلم الدلالة، لأنهما وفق الباحث جرادات من المصادر التي تعزز الثقافة وتقوي مصادر المعرفة.

العنوان الأول « قيمة المعرفة وفن الاستشراف»، حيث بين فيه الباحث أن الإيمان والمعرفة يفضيان إلى التوسع والانفتاح على الأفكار النيرة، لان المعرفة كما يرى بحد ذاتها إدراك للأشياء ومضامينها، فيما لفت إلى ان مهمة الاستشراف تبرز بما تستند عليه من رؤية وقدرة على المثابرة والمتابعة.

أما العنوان الثاني فقد ناقش فيه إيقاع اللغة العربية بين الفعل الثقافي والدور الإعلامي، مبينا أن اللغة العربية بما توافر فيها من مرونة استطاعت ان تربط بين مفهوم الأصالة ومتطلبات الحداثة، لافتا إلى أنه عند مناقشة هذا العنوان لا بد من توثيق جملة حقائق، أهمها أن أصالة اللغة مستمدة من موروثاتها، ومنسوب ثقافة أبنائها.

وفي باب « أدب الرحلات ومفهوم المثاقفة بين الشعوب»، تناول أهمية أدب الرحلات وثقافة التواصل، معتبرا ان الرغبة تبلورت في اكتشاف ثقافة الغير منذ عصر الفتوحات الإسلامية، حيث مارس العرب الترحال في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام بقصد الاستدلال ومحاولة التعرف على الحضارة الإنسانية.

وتوقف في باب « السيميائية بين منهجية البحث ومقومات الاستدلال «، عند تحليل البعد المعرفي في مفهوم العلامة، وما تمثله من نسق ودلالات، وتلازم طبيعي بين اللفظ الذي يعبر عن حقيقة الشيء، والمعنى الذي يعرف على انه الصورة التي تستقر في ذهن السامع بعد تفاعله مع الحدث أو قراءته للنص.

وفي العنوان الأخير « التفكير الاستراتيجي والإنتاج المعرفي»، اهتم الباحث بتحديد البعد المعرفي لمنهجية التفكير الاستراتيجي، والذي يعرف على انه وسيلة للتنبؤ الذي يؤدي لبناء الخطط أو تعديلها من اجل المواكبة.

خلاصة الكتاب تتمثل في أن المعرفة تعمق اليقين، لأنها تستمد قيمتها من جوهر الحقيقة، أما التفكير الاستراتيجي فهو يتمثل بالقدرة على الاستشراف الدقيق، والذي تتضح من خلال الرؤية، ليكون بعد ذلك التوجه نحو المواكبة بما تستدعيه من بذل الجهود التي تحقق مبدأ السير في ركب التجدد والتطور.